

اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضاء بقضاء الله تعالى *

كتاب ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثتها كثيرة . وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف انطلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك . فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على شاة مميّة . فقال (أترون هذِهِ الشاة هينّةً على أهلها) قالوا من هوأنها ألقوها قال (والذي نفسي بيده للدنيا أهونُ على الله من هذِهِ الشاةِ على أهلها ولو كانت الدنيا تعدلُ عندَ الله جناحَ بِموضئةٍ ماسقي كافرًا منها شربةُ ماءٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (إنَّ الدنيا حلوةٌ خضرةٌ وإنَّ اللهَ مُستخلفكم فيها فَنَاظِرَةٌ كيفَ تعملون)

﴿ بيان الدنيا المذمومة ﴾

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة . ما هي وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة الأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي . فنقول :
دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك . فالقريب الداني

يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت . والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت . فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقتك إلا أن جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس يندموم بل هو ثلاثة أقسام (القسم الأول) ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح . (القسم الثاني) وهو المتقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات أي في السرف فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المدمومة (القسم الثالث) وهو متوسط بين الطرفين كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة وهو ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على الأول ووسيلة إليه فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولاً للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك بقصد حفظ النفس فهو من الدنيا فإذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الإشارة بقوله تعالى (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَأَهْوَىٰ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى (زِينٌ

لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)
وبالجملة فكل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا *
* (بيان حقيقة الدنيا في نفسها) *

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها
شغل وانما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها
قال الله تعالى (اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَشْيُهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا) فالأرض فراش الآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس
ومطعم ومشرب ومنسجح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام المعادن والنبات
والحيوان (أما النبات) فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي (وأما المعادن) فيطلبها
للالات والآواني كالنحاس والرصاص وللتنقد كالذهب والفضة وغير ذلك
من المقاصد (وأما الحيوان) فينقسم الى الانسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها
لحومها المأكلة وظهورها المركب والزينة وأما الانسان فقد يطلب الآدمي
ليستخدم كالعلمان أو ليتجمع به كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس
تملكها بأن يفرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى
الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد
جمعها الله تعالى في قوله (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ)
وهذا من الأوس (والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة) وهذا من
الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من الآلى واليوافيت وغيرها

(وَالتَّحِيلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ) وهى البهائم والحيوانات (وَالْحَرْثِ) وهو النبات والزرع . فهذه هى أعيان الدنيا ألا إن لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو سببه لها وحفظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعاق بالدنيا كالكبر والفن والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكابر والتفاخر وهذه هى الدنيا الباطنة . وأما الظاهرة فهى الأعيان التى ذكرناها . العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الأعيان لتصلح لحفظه وحفظ غيره . وهى جملة الصناعات والحرف التى اخلق مشغولون بها . واخلق انما نسوا أنفسهم وما بهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرّها علم أن هذه الأعيان التى سميها دنيا لم تخلق الا لقوامه ليتقوى بها على إصلاح دينه حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه همه . وبقي ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالافتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الواضح فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالسكينة وما كان لهم فى الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواماً . وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور الى الله تعالى *